

الإسلام والعروبة وتحديات النظام العالمي الجديد وأساليب تنفيذه

د/ عبد السلام عفوفو
أستاذ محاضر بكلية العلوم الإسلامية
- جامعة الجزائر -

مقدمة:

من منطلق أن الإسلام دين عالمي جاء لخير الناس وسعادتهم في الدنيا والآخرة وهو خاتمة الأديان الذي لا يقبل من أحد دين سواه، وأنه بدأ غريبا وسيعود غريبا، لقد بدأ غريبا في مجتمع الجاهلية الأولى، لأنه قلب مفاهيم ذلك المجتمع رأسا على عقب، حيث استغربه الذين اعتادوا على إتباع آبائهم وأجدادهم وتقليدهم تقليدا أعمى وجهود عقولهم عند تلك العادات والتقاليد الموروثة عن السلف الجاهل.

وها نحن أمام جاهلية عالمية كبرى معاصرة يتزعمها النظام العالمي الجديد بقيادة الإمبراطورية الأمريكية تحاصر الإسلام والمسلمين وتطاردهم في كل أنحاء العالم متذرعة بالذرائع الوهمية والزائفة مستخدمة كل الوسائل الحديثة لمحاربة الإسلام والمسلمين، بحيث أصبحت تتدخل في شؤون المسلمين، بمساعدة أنظمة محلية لإرضاء أسيادها الآمرين والناهين لا لشيء إلا للبقاء في السلطة.

وحتى تسقط ذريعة المادية العالمية المعاصرة التي تتخذها سببا للاعتداء على بلاد المسلمين باسم الديمقراطية والحرية يجب على الأنظمة المحلية العدول عن سياساتها الانبطاحية وإطلاق حرية الرأي والتعبير ليشترك الجميع في بناء وتطوير البلاد وبنائها بناء سليما صالحا يتماشى مع العصر.

وقد آن الأوان أمام مادية عالمية معاصرة أن يستفيق المسلمون والعرب والعمل على استيعاب الوضع العلمي والحضاري الذي يوصلهم إلى بر الأمان.

لقد ضل العرب والمسلمون اتباعهم الغرب وانسلاخهم عن أحكام الشريعة الإسلامية التي تهدف إلى تغيير أحوال الناس وتخليصهم من ظلمات الجهل والضلال والفساد المستفحل في المجتمعات العربية والإسلامية، وإرشادهم إلى طريق العلم والخير والسعادة.

أين العالم العربي والإسلامي اليوم من سابقهم الذين سادوا على العالم، فهل صحو من سباتهم العميق؟ وهل تتوحد كلمة المسلمين ليستعيدوا مكانتهم التي أرادها الله لهم عندما قال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ آل عمران الآية 110.

وهل يوجد للإسلام والمسلمين عن طريق الجمع الفقهي الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي والذي يضم في عضويته كبار العلماء وفقهاء العالم الإسلامي المتخصصين في جميع العلوم سواء منها الشرعية وغيرها من العلوم المعاصرة موقف مشرف وجاد من العولمة، باتخاذهم قرار رقم: 134 في سنة 2003؟ وذلك إثر اطلاعهم على الدراسات والبحوث المقدمة إلى الجمع فيما يتعلق بموضوع النظام العالمي الجديد والتكتلات الإقليمية وأثرها على الشعوب والدول الإسلامية؛ حيث يقوم هذا النظام على المنظمات الدولية والمؤثرات العالمية التي سعت وتسعى للتصدي لمختلف القضايا التربوية والاقتصادية والاجتماعية والبيئية والسكانية للحرص على مصالح القوى الكبرى والدفع لتعميم مفاهيم الحضارة المادية الغربية المعاصرة⁽¹⁾.

لذلك يتحمل علماء الأمة الإسلامية وساستها ومفكروها وقادتها في مختلف الميادين. السياسية والثقافية والتربوية والاقتصادية والإعلامية وغيرها من الميادين مسؤوليات لتحقيق نهضة إسلامية شاملة تدفع إلى تحصين أبناء الأمة الإسلامية في وجه



التحديات التي يفرضها النظام العالمي الجديد، والإمساك بزمام المبادرة في التعامل مع أدوات العولمة وآلياتها وفق الطريقة التي تفهم واللغة التي تدرك بعيدا عن الارتجال أو التنظير المحدود، وبما يشمل كل مجالات الفكر والثقافة والإعلام، ويهدف إلى تحقيق الممارسات الإبداعية، والإنجازات العلمية والاقتصادية التي تؤمن الحياة الكريمة لكل إنسان في المجتمع.

ومن مبادرات الجمع الفقهي الإسلامي الدولي وتوصياته في إطار الخطط الشمولية، ومن منطلق أن الإسلام دين عالمي جاء لخير الناس وسعادتهم في الدنيا والآخرة ما يلي:

1- تفعيل وتقوية دور منظمة المؤتمر الإسلامي والمؤسسات التابعة لها وسائر المؤسسات الإسلامية الدولية، بهدف تعميق التكتل الدولي الإسلامي.

2- التعريف بعالمية الإسلام وأهمية ما يقدمه من حلول لمشاكل البشرية وفق منهج علمي موضوعي ومدروس.

3- العمل على إقامة الأسواق الإسلامية المشتركة وتشجيع المشروعات والاستثمار بين الدول الإسلامية والعربية، وترقية القدرات العلمية والتكنولوجية في البلاد الإسلامية، وإعادة صياغة العلاقة بين العالم الإسلامي والنظام الدولي الجديد.

4- العمل على الحفاظ على عنصر الأصالة والمعاصرة في الخطاب الإسلامي وتقوية العلاقات بين الشعوب الإسلامية وتحقيق وحدة الصف الإسلامي في مواجهة كل التحديات.

5- ضرورة التنسيق بين الدول الإسلامية والمنظمات التطوعية فيها عند المشاركة في المنظمات الدولية والمؤتمرات العالمية.

6- العمل على ترسيخ مفاهيم الجهاد في مؤسسات التعليم الشرعي في جميع أطواره وفي مجالس الإفتاء والجامع الفقهية، والاستفادة مما تتيحه وسائل الاتصال

المعاصرة وآلياتها، وإبراز الصورة المشرفة للدين الإسلامي الحنيف، وبخاصة عن طريق الوسائل الحديثة⁽²⁾.

تحديات النظام العالمي الجديد:

نظرا لضعف الدولة القومية الواحدة والتي تعتبر ذاتها مثقلة تماما هي من الصغر بحيث أنها لا تلعب دورا حقيقيا على المستوى العالمي لدرجة أن الدول الأوروبية الشمالي والعشرين تعجز كل واحدة بمفردها القيام بضمان دفاعها العسكري، وازدهارها الاقتصادي، ومصادرها التقنية، والتحكم في منع نشوب الحرب النووية والكوارث البيئية⁽³⁾.

وفي ظل هذا النظام (النظام العالمي الجديد) ظهرت مصطلحات أو تعبيرات متعددة لم تكن معروفة ومتداولة من قبل، ومن أبرزها كلمة أو مصطلح العولمة، حيث يتم من خلالها تغييب البعد الوطني أو القومي كفاعل مؤثر، والعولمة هي نظام تكييف وابتلاع لاكوي للدول والشعوب⁽⁴⁾.

إنّ النظام العالمي الجديد أو (العالمية الجديدة)؛ يقوم على إعادة سيطرة المركز على دول المحيط (مناطق النفوذ القديمة) من خلال تفكيك الاتحادات القومية الكبرى في هذه المناطق حتى تسهل السيطرة عليها، وتستعمل في هذا الصدد كل ما أمكن من الوسائل لتحقيق الغرض الذي تصبو إليه، فقد يتم التفكيك عن طريق إثارة النعرات الطائفية والدينية المختلفة داخل الدولة القومية حتى تنادي كل طائفة بالاستقلال تحقيقا لشخصيتها القومية، وقد يتم كذلك عن طريق إغراء الأعراق المختلفة بتحقيق شخصيتها الخاصة بالانفصال عن الدولة القومية المنتمية إليها.

ومن يتأمل السياسات الدولية التي تسعى وتخدم فكرة المركز الحضاري الجديد سيلاحظ منهج التفكيك الذي فهمته السياسات الدولية، فقد تم تفكيك يوغوسلافيا

وتشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفيتي، ووضع عقبات أمام تكوين دولة الصرب القومية في منطقة البلقان، وتشجيع انفصال جنوب السودان عن شماله، والسعي وراء تفكيك العراق إلى ثلاثة أجزاء على أساس الاختلافات المذهبية أو العرقية؟ إلى غير ذلك من السياسات المنتهجة في هذا الشأن.⁽⁵⁾ وما يشهده العالم الإسلامي من تفكيك عن طريق المشروع التقسيمي المذهبي؛ الليبي الساعي إلى تجزئة الوحدة الإسلامية الليبية.

العولمة الجديدة:

العولمة الجديدة أو النظام العالمي الجديد؛ كمشروع التقسيم هي التي تتضمن معنى الإخضاع والسيطرة من قبل الصهيونية والمراكز إمبريالية، والذي تتزعمه الولايات المتحدة الأمريكية، والصهيونية العالمية ومن ورائها الماسونية، التي بدأت التأمر على الإسلام والمسلمين منذ فجر الإسلام، لا يزالون، كانوا عند بزوغ فجر الإسلام في أواخر القرن السادس الميلادي مع وجود أكبر وأقوى إمبراطوريتين في العالم آنذاك، وهما الإمبراطورية البيزنطية الرومانية في الغرب ومركزها روما، والإمبراطورية الفارسية (بلاد فارس) في المشرق، وقد تحزّب اليهود وبدأ تأمرهم على الإسلام مع الأحزاب من قريش عندما ذهب وفد من المدينة إلى مكة وتحالفوا مع الأحزاب من قريش على محاربة رسول الله ﷺ ومن اتبعه من المسلمين.⁽⁶⁾ وتوالى المؤامرات تباعاً ونتج عنها الاستعمار الأنجلو أمريكي الذي قام بزرع جسم غريب في منطقة التقاء قارة آسيا بقارة إفريقيا في فلسطين من أجل فصل المشرق العربي عن المغرب العربي وشمال إفريقيا.⁽⁷⁾ وليست العولمة ذات الطابع الموضوعي والمتعلقة بالتواصل الحضاري الإنساني المرتكز على التكافؤ والمنفعة المتبادلة.

وبما أن الشرق أوسطية تمثل الممر الذي يراد للمنطقة العربية أن تعبر منه إلى العولمة، وبما أن الشرق أوسطية تتوافق مع التزعة الاستعمارية الأمريكية، كما تنسجم مع المساعي التي ترمي إليها الولايات المتحدة الأمريكية المتمثلة في إقامة نظام عالمي

جديد، ذو طابع استعماري تحت زعامتها، والشرق الأوسط مشروعا إقليميا يتمحور حول مركز وسيط المتمثل في الكيان الصهيوني الذي يرتبط بالمراكز الرأسمالية المهيمنة على النطاق العالمي من الناحية الإستراتيجية⁽⁸⁾.

ولذلك فإن النظام العالمي الجديد يبدو منظويا على طابع استعماري، بحيث تولّد عنه فرض الدول الكبرى لأنظمة اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية على غيرها من الدول بقوة أو بالضغط الاقتصادية.

أساليب تنفيذ النظام العالمي الجديد:

النظام العالمي الجديد دعا إلى إنشائه العديد من الكتاب والأساتذة من رجال القانون الدولي أمثال: (شارل دي فيشر) الذي يشهد له الفقهاء والكتاب الأوروبيين والأساتذة الأمريكيين من بينهم "بروسي كوريت" الذي قام بترجمة كتابه: (النظرية والواقع في القانون الدولي العام إلى اللغة الإنجليزية)، وكذا "فيليب جيسيب" وغيرهم، حيث تناول "فيشر" العلاقة بين النظرية والتطبيق في القانون الدولي، والصلة بين الأخلاق الدولية والقانون الدولي، وقد أصبحت كتاباتهم مصدرا لبعض القادة في تحقيق طموحهم السياسي، وقد استغل رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ذلك، حيث هب عام 1991 ليخوض حربا ضد العراق للدفاع عن ذلك النظام وقد قال عند إعلانه عن انتصار أمريكا في تلك الحرب، أن ما يتعرض للخطر ليس دولة صغيرة فقط، وإنما النظام العالمي الجديد؟ إنه السلام والأمن والحرية وحكم القانون.

ويشير ذلك إلى بيان مفهوم النظام العالمي الجديد، وتحديد أساليب تنفيذه، وطبيعته، كما يتناول ارتباط ذلك النظام بالصراعات الدولية، وكيفية تهديده لمستقبل الدول الصغيرة.



والمقصود هنا بأساليب التنفيذ: كل الإجراءات التي من شأنها وضع النظام العالمي الجديد موضع التنفيذ، وتنصب على إنشاء تحالف دولي يضم عددا من الدول التي تتبنى أهدافا محددة، وهذا التحالف يتكون من طرفين:

- أولهما تمثله الأطراف المتحكمة في النظام العالمي؟ أي: صناع القرار السياسي الغربيين الذين يأخذون بزمام المبادرة، وانهاجهم في ذات الوقت خطا هجوما، لتحقيق نتائج حاسمة من خلاله، مع استغلال مركزها في المنظمات الدولية وإمكاناتها المادية والعلمية، والتكنولوجية.

- وثانيهما أطراف من البلدان النامية التي بإمكانها أن تلعب دور العبد لسيد.

والدليل على هذا الأسلوب؟ أي تنفيذ نهج النظام العالمي الجديد، ذلك التحالف الذي ظهر أثناء حرب الخليج الثانية الذي جمع عددا من الدول غير متجانسة وعددها (29) دولة؟ أبرزها: الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، وفرنسا، ومصر، وباكستان، والسنغال، والمغرب، وإيطاليا، وإسبانيا، والعربية السعودية، وسوريا، وتركيا، وبلجيكا.

والأسلوب الثاني المتبع في تنفيذ النظام العالمي الجديد، فهو نابع من تفسير فصول ميثاق منظمة الأمم المتحدة؟ أي: تحريك مجلس الأمن للقيام بالمهام المخولة له في الميثاق كلما أرادت الأطراف المتحكمة في النظام العالمي، والحجة التي تتذرع بها هذه الأطراف في تحريك مجلس الأمن عن طريق هيئة الأمم المتحدة، وعدد كبير من أعضاء المجموعة الدولية، هي الشرعية الدولية، وفي هذا الإطار اتخذ مجلس الأمن الدولي 15 قرارا يتعلق باجتياح العراق للكويت في عامي (1990، 1991). وكان هذا القرار خالي من أي أساس قانوني، وذلك طبقا لمبادئ الشرعية الدولية، ورغم ذلك فقد نفذ فوراً،

وذلك باستخدام القوة من قبل حلف شمال الأطلسي في حين لم تنفذ أي قرارات من القرارات المتخذة ضد إسرائيل رغم أساسها القانوني.

وطبقت هذه الأساليب ولم تؤخذ في الحسبان إرادة الأغلبية الساحقة من الأمم والدول والشعوب. ولذلك فإن هذه الأساليب يمكن أن تؤدي دورا معينا في مرحلة الإعداد العملي للنظام العالمي الجديد، لكن لا تؤدي إلى تطبيقه في نهاية المطاف على سائر القارات، أو تدوين نظامه القانوني.

الوحدة العربية وتحديات النظام العالمي الجديد:

إنّ بناء مجتمع عربي معاصر يمتلك القدرة والاقترار؛ مهمة عصرية قومية أو إقليمية؛ قادرة على استيعاب الفئات الاجتماعية والطائفية والقبلية جميعها على امتداد وطننا العربي والإسلامي الكبير، يتطلب منهم تفادي الوقوع في شرك الشرق أوسطية من جانب، ومن جانب آخر يتعيّن عليهم أن يُكوّنوا فريقا واحدا حتى يتمكنوا من احتلال مكانة لاثقة بهم، وحتى يكونوا قوة لها حجم ووزن في الخريطة العالمية؛ التي لا مكان فيها للضعفاء، فالعالم الذي يستقبل القرن الحادي والعشرين، عينه على التكتل الإقليمي والآخر على التعاون والتكامل الاقتصادي.

ولهذا نجد أن الوحدة العربية ضرورة حتمية لمواجهة التغيرات الجديدة في المجتمع، وترتكز في أساسها على عدة ركائز؛ هي: (وحدة الانتماء والمصير المشترك ووحدة الأرض، واللغة والتراث، والدين، والتاريخ، والمصالح المشتركة، والعيش المشترك).⁽⁹⁾ ونقتصر على نقطتين:

— الركيزة الدينية (الإسلام)، والوسائل القانونية للوحدة العربية.



فالوحدة العربية تستهدف تحقيق غايات متعددة من أهمها (سد الفراغ أمام الاستعمار، وهذه الغاية بحاجة إلى إلقاء الضوء عليها؛ لاسيما وأن الاستعمار في عصرنا الحاضر غير من جلده، فارتدى أثوابا ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب.

فوسائل تحقيق الوحدة العربية، خاصة الوسائل القانونية التي جسدها مشروع الاتحاد العربي في صورة نصوص؛ تُوازن بين مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للأعضاء والالتزام باحترام الإرادة العامة للأمم العربية.

- الركيزة الدينية:

لقد ظهر الإسلام في قلب العروبة ومنذ ظهور الإسلام وبفضل انتشاره، زاد انتشار العرب، وظهر التعرب وتبلورت القومية العربية؛ إذ أنه بعد ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية، أقام العرب المسلمون دولة الإسلام بالمدينة المنورة التي كانت بمثابة النواة الأولى للدولة العربية الكبرى التي ضمت عرب شبه الجزيرة، وأزاحت عن المنطقة نفوذ الفرس واستعمار الروم البيزنطيين، فالدولة العربية الكبرى قامت في زمن قياسي نتيجة السرعة في الفتوحات الإسلامية، مع ترك الحرية الكاملة للشعوب في المعتقد الديني والحرية الكاملة للولاء للقومية القديمة غير العربية، وقد ساهم في إقامة هذه الدولة العربية الواحدة والجديدة شعوب البلدان التي تم فتحها؛ والتي سارت على هدى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة والمشورة، والقُدوة الطيبة التي تجسدت في جيل الصحابة والتابعين.⁽¹⁰⁾

ويمكن القول أن العلاقة بين الإسلام والعروبة هي علاقة حميمية؛ إذ إن الإسلام وحّد بين العرب وحملهم رسالة ومنحهم قاعدة فكرية أيديولوجية، وبِه كَوْن العرب دولة الإسلام، ولقد أحس العرب في صدر الإسلام برابطة قوية وبكيان متميز، فالدولة عربية، واللغة عربية، والعرب حملة الإسلام، والمدافعون عنه، ولذلك فإن مفهومي الإسلام والعروبة متوازيان على الأقل في نظر الشعوب الأخرى، فالإسلام

ساهم في تكوين أمة عربية واحدة لها دولة واحدة تحكم الأمة القومية، وأما أخرى لها قومياتها المتميزة.⁽¹¹⁾

وبوصول الفكر السياسي إلى حقيقة أن الأمة مصدر السلطات، أصبحت الفكرة القومية فكرة سياسية، وعليه فإن كل أمة تسعى للبحث عن هويتها وذاتها، وأخذت دعوة القومية العربية تظهر، لولا أن زحف الاستعمار وتدخله في شؤون الأمة العربية أدى إلى تفتيت وتجزئة الدول العربية إلى دول عديدة، ومن خلالها صار الوطن القومي مجزأ إلى أوطان متعددة.

على الأمة العربية اليوم ضرورة العودة إلى الدولة القومية الواحدة، فرغم أن الصلة بين الإسلام والقومية العربية واضحة إلا أنها لم تسلم من التشكيك في وجودها، وقد ظهر ذلك خاصة في الربع الثاني من القرن العشرين، وقد اتخذ فريق من حملة الفكرة القومية موقفاً من الدين؛ مما حدا بفريق من حملة الفكرة الإسلامية إلى اعتبار الفكرة القومية مجرد دعوة إلى عصبية يستنكرها الإسلام، حيث طرح كل فريق شعاره حسب الفكرة التي يعتنقها، فطرح الأول شعار: "أنا عربي قبل أن أكون مسلماً"، والفريق الثاني شعار، "أنا مسلم قبل أن أكون عربياً"، وقد سعى كل فريق إلى إسناد ودعم شعاره عن طريق اختلاق الأدلة التي تسند مزاعمه، وذلك ناتج عن الاحتكاك الحضاري الذي جرى مع الغرب.⁽¹²⁾ وقد أدى إلى ظهور ثلاثة تيارات مختلفة ومتباينة، وهي:

- تيار بناء النهضة، وهو تيار وسط جمع بين الأصالة والمعاصرة، وقد أخذ هذا التيار من الفكر الغربي بما لا يتنافى مع أصالة المجتمع العربي الإسلامي.

- تيار الانغماسيين: استعار الفكر الغربي ظناً منه أن هذا الفكر هو مناط تقدم الأمة العربية رغم مقاومته للاحتلال الغربي.



- تيار الانكماشيين: رفض هذا التيار الفكر الغربي جملة وتفصيلاً، وقد واجهوا الاحتلال الغربي وقاوموه بكل ما أوتوا، وقد تقوقعوا حول أنفسهم ظناً منهم أن التقوقع هو السبيل الوحيد لنجاتهم، وقد تبنا السلفية المتزمتة.⁽¹³⁾

ومما سبق يمكن القول أن الخلل في فهم العلاقة بين العروبة والإسلام اقتصر على التيارين (الانغماسيين والانكماشيين)؛ فالانغماسيون اتخذوا موقفاً من الدين، والانكماشيون ادخروا مثل هذا الموقف للقومية، ولم يج من هذا الخلل الذي وقع فيه التيارين -الانكماشى، والانغماسى- إلا تيار بناء النهضة الذي فهم هذه العلاقة فهماً صحيحاً، وتفاعل مع الأصالة والمعاصرة لأن ذلك حسبهم سيؤدي إلى خلق طاقة تدفع بالأمة العربية إلى القيام بدورها الحضاري.⁽¹⁴⁾

وعلى كل حال فإن الإسلام ساهم في جمع العرب في أمة واحدة، لها دولة واحدة تحكمها القومية، وأما أخرى لها قومياتها المتميزة.

غير أن زحف الاستعمار نحو الأمة العربية أدى إلى قطع أوصالها وجعل من أجزائها دولا عديدة؛ فصار الوطن القومي مجزأ إلى دول أو دويلات عدة، وعلى الدول العربية اليوم ضرورة العودة إلى الدولة القومية الواحدة التي تضم الوطن القومي الواحد.⁽¹⁵⁾

الوسائل القانونية:

ومن الوسائل الأساسية للوحدة العربية والطرق التي يمكن أن تسلكها الأمة العربية والإسلامية للوصول إلى تحقيق هذه الوحدة، ومن أهم هذه الطرق والتي سوف نتحقق بها:

- الطريقة القانونية، وهذه الطريقة في نظر البعض من أكثر الطرق اتفاقاً مع الواقع العربي المعيش، ومعنى آخر طريقة الللملة أي لم شمل أناس ليسوا من نموذج واحد، وإذا أراد العرب تحقيق ذلك عليهم اتباع إحدى الطريقتين أو معا.

على العرب محاولة جمع نظمهم القائمة على (الملكية، الجمهورية، الإمارة، الإقطاع، الاشتراكية الخ... بمعنى البحث عن الوحدة من خلال الواقع العربي المعاصر.

واللجوء إلى الطريقة القانونية للوحدة والتي هي أكثر الطرق اتفاقاً مع الواقع العربي المعيش، والطريقة القانونية تتكفل ببيان المبادئ الجوهرية للوحدة العربية، وتكمن المبادئ الأساسية للوحدة العربية في مبدئين: (مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأعضاء، مبدأ الالتزام باحترام الإرادة العامة للأمة العربية).

- مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية:

لقد أكدت كل المواثيق العربية على عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأعضاء، منها ميثاق جامعة الدول العربية، وميثاق التضامن العربي الصادر عام 1965 حيث أقرت للأقطار العربية⁽¹⁶⁾ - كما أكد القادة العرب على مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية في الخامس عشر سبتمبر سنة 1965 بمؤتمر الدار البيضاء المملكة المغربية، حيث أعلن خلالها القادة العرب عن التزامهم باحترام سيادة كل دولة عربية، ومراعاة نظمها السائدة فيها وفقاً لدساتيرها وقوانينها، وفقاً للنصوص الواردة في ميثاق التضامن العربي المشار إليه أعلاه⁽¹⁷⁾، وكذا ميثاق اتحاد دول المغرب العربي المؤرخ في عام 1989. وقد جاء في المادة الثالثة منه: "صيانة استقلال كل دولة عضو"... وكما ورد أيضاً في المادة الخامسة عشر: أن تتعهد الدول الأعضاء بعدم السماح بأي نشاط أو تنظيم فوق ترابها يمس أمن أو حرمة تراب أي دولة من هذه الدول أو نظامها السياسي، والحرص على تثبيت العلاقات والروابط العديدة والوثيقة



التي تربط الدول العربية، والحرص على دعمها وتوطيدها على أساس احترام استقلال كل منها، وقد كرّس واضعو مشروع الاتحاد العربي مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية في أكثر من موضع. (18)

- مبدأ الالتزام باحترام الإرادة العامة للأمة العربية:

تحقيقاً للصالح العام للدول العربية، كان عليها أن تتقيد بهذا المبدأ، فهذا الالتزام يحقق فاعلية أكثر للقرار العربي، حيث أثبت الواقع أن سر عدم فاعلية الجامعة العربية يكمن في عدم الالتزام بهذا المبدأ، حيث إن ميثاق جامعة الدول العربية في مادته السابعة (7) ينص: (ما يقرره المجلس بالإجماع يكون ملزماً لجميع الدول المشتركة في الجامعة، وما يقرره المجلس بالأكثرية يكون ملزماً لمن يقبله). (19)

لقد فرق ميثاق جامعة الدول العربية بين صدور القرار وتنفيذه، فصدور القرار يتطلب فيه توفر الإجماع أو الأغلبية، أما تنفيذه فمتروك لكل دولة عضو وفقاً لنظمها الأساسية حسب نص المادة السابعة (7). ويتضح من نص هذه المادة المذكورة أن الدول العربية الأعضاء في الجامعة رغم موافقتها على القرار في مجلس الجامعة يمكنها أن ترفض تنفيذ القرار. (20)

إذن فإن التزامات الدول العربية نحو قرارات الجامعة العربية ما هي إلا حبر على ورق، بدليل أن التزاماتها نحو قرارات الأمم المتحدة في حالة وجود تعارض بين ميثاق جامعة الدول العربية وميثاق الأمم المتحدة؛ فإن الغلبة تكون لميثاق الأمم المتحدة. (21)

إن دور الجامعة العربية منذ نشأتها حتى اليوم. محدود للغاية، ويظهر ذلك من خلال ما تعرضت له الدول العربية وما مر بها من حروب؛ منها حرب 1967 التي لم تتمكن الدول العربية من خلق آلية التنسيق؛ لأن بعض الدول العربية كانت تتظاهر

بالسعي نحو الوحدة في حين أنها كانت في الواقع تقوم بمحاولات تأمرية لنسف وتدمير النظم التي كانت مُهَلَّلَةً للقيام بالوحدة، وحرب أكتوبر 1973. وخلال هذه الحرب نتج عنها آثار اقتصادية وكذا اجتماعية؛ حيث تسببت في ارتفاع أسعار البترول بشكل غير مسبوق؛ وترتب عليه زيادة أرباح ومدخرات العرب، مما أثار حفيظة القوى الأجنبية التي خطّطت بذلك لتشتيت الصف العربي وأدى ذلك إلى انقسام الدول العربية إلى مجموعتين:

- المجموعة الأولى هي مجموعة قليلة العدد واسعة الشراء نتيجة عوائد البترول.
- المجموعة الثانية كثيرة العدد قليلة الموارد، ولم تستطع جامعة الدول العربية من حل هذه المفارقة، ويرجع ذلك إلى انعدام الثقة بين المجموعتين، فالغني يخشى طمع الفقير، فبدل أن يوجه استثماراته نحو الشقيق الفقير وجهّها نحو أمريكا وأوروبا، علاوة على البذخ الفاضح والواضح لبعض أغنياء الدول العربية، ويرجع ذلك إلى دور الجامعة العربية السلبي والمتعاس، وعدم محاولتها حل هذه المفارقة من خلال تحقيق التوازن السياسي والاقتصادي بين هذه وتلك، فكرس كل ذلك الشرخ القائم بين الدول العربية وانعدام الثقة بينها، وعدم تبني آلية لتحقيق التنمية الشاملة في المناطق العربية، وكان من الأجدر للعرب إعلاء القرار القومي على المصالح الجزئية للأقطار العربية، وتوحيد الصف وإعلاء الإرادة العامة للأمة العربية فوق المصالح القطرية، والوحدة هي المنقذ الوحيد للأمة العربية، وهي أمل لإنقاذها.

الخاتمة:

ومما سبق يمكن استخلاص النتائج التالية:

- 1- الإسلام والقومية العربية بينهما روابط قوية لا يمكن التغاضي عنها عند الحديث عن أية وحدة بين الأقطار العربية.



2- الوسائل القانونية التي اعتمد عليها مشروع الاتحاد العربي تستحق التأييد لموازنتها بين مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للأعضاء واحترام القرار العربي ومصالح الدول العربية.

3- الإسراع بإعلان قيام جامعة الوحدة العربية؛ لأنها المنقذ من الوقوع في يد الاستعمار والتبعية، كما أن هذه الجامعة تحقق قوة سياسية وعسكرية للوطن العربي؛ لأن جامعة الدول العربية قد استنفذت أغراضها وزمانها، وانتهى دورها منذ زمن⁽²²⁾. ليس العيب في الجامعة في حد ذاتها ولكن العيب في ميثاقها الذي كبلها بقيود تمنعها من الحركة وأفقد قراراتها الفاعلية والقوة القانونية.

4- ضعف الإرادة العربية إلى حد جعلها تقف عاجزة عن التصدي للمشكلات التي تصادف الأمة العربية بسبب الخلاف العربي/العربي؛ مما جعل الأمة العربية فريسة سائغة للصهيونية ومحلا لأطماع القوى العالمية والإمبريالية والإقليمية المجاورة لها، كتركيا وإيران.

5- تدويل الصراعات العربية/العربية، بسبب غياب محكمة عدل عربية، مما أسفر عن نتائج سلبية كثيرة منها:

- تدعيم وجود النفوذ الأجنبي داخل الوطن العربي.

- تكريس تجزئة الأمة العربية.

6- تقف الجامعة العربية عاجزة عن إلزام الأقطار العربية بالعمل المشترك وتسوية النزاعات والانقسامات الحادة في ظل آلياتها الحالية ونصوص ميثاقها المقيدة لحركتها ومؤسسات العمل العربي المشترك⁽²³⁾.

وتُرجع بعض الجهات علة النظام الإقليمي العربي إلى وجود ما يشبه حق الفيتو لعدد قليل من الدول العربية تستطيع من خلاله إبطال مفعول هذا النظام أو العكس، بالدفع به إلى منطقة الفاعلية والحركة والنشاط متى كان العمل مناسباً للمصالح الوطنية

لهذه الدول أو موافقا لحساباتها، وهذه الدول رغم قتلها باتت تملك ما يشبه حق الفيتو، فإذا اعترضت على عقد اجتماع يُلغى أو يؤجل، وإذا تحفظت على مشروع أو رفضته دفن في الأدراج، وإذا رأت تعديل ميثاق الجامعة العربية، أو مشروع إقامة محكمة عدل عربية فرؤيتها نافذة على الجميع، وفكرة إنشاء محكمة العدل العربية نادى بها الفكر العربي في أكثر من مناسبة، وسجلها مشروع الاتحاد العربي الذي قدمته الجماهيرية الليبية في مؤتمر القمة العربية المنعقد بالقاهرة سنة 1996. وفي مادته 29 بقولها: "محكمة العدل العربية هي الجهاز القضائي الرئيسي لجامعة الأمة العربية وفق نظامها الأساسي الذي يصدره المجلس الاتحادي الأعلى وفقا للأسس التالية:

1- للدول الأعضاء وللمؤسسات الجامعة حق التقاضي أمام المحكمة، وتشمل ولاية المحكمة الفصل في:

- التراعات التي تنشأ بين الدول الأعضاء.
- التراعات التي تنص اتفاقية عربية ثنائية، أو متعددة الأطراف على إحالتها إليها.
- التراعات التي تتصل بتفسير هذا الميثاق (ميثاق جامعة الوحدة العربية).
- 2- تفصل المحكمة في أي نزاع يتعلق بولايتها، وفي التراعات التي ترفع إليها وفقا لمبادئ وأحكام هذا الميثاق ولبادئ العدالة والإنصاف والمصلحة العربية العليا.
- 3- للمحكمة أن تصدر آراء استشارية وفتاوى في أية مسألة دستورية قانونية، بناء على طلب المجلس الاتحادي الأعلى أو من دولة عضو أو من أي من المجالس المتخصصة.

- 4- أحكام المحكمة نهائية وغير قابلة للطعن.
- 5- يعين المجلس الاتحادي الأعلى رئيس وأعضاء المحكمة من بين مواطني الدول الأعضاء، ويحدد النظام الأساسي وأوضاعهم وإجراءات تعيينهم وإعفائهم، كما يحدد إجراءات التقاضي وغيرها.



وفكرة محكمة العدل العربية ضرورة فرضها الجانب السياسي للعلاقات العربية-العربية، والمقصود بها الخلافات والمنازعات العربية - العربية، والتي بلغت ذروتها في حرب الخليج الثانية.

وفكرة محكمة العدل العربية تبشر بتنقية الأجواء العربية عندما يكون هناك خلافات مستقبلية، الأمر الذي يجدر للوحدة العربية، ويحقق في نفس الوقت التماسك القومي العربي بشكل أفضل.

وخلاصة القول فإن الأمة العربية لها صفات روحية وصفات مادية ومركز استراتيجي يربط قارات العالم وتطل على كل بحار العالم، ومهبط الأديان، وأرضها أرض الحضارات وسماؤها سماء الوحي.

العالم كله محتاج للأمة العربية، والأمة العربية قادرة أن تعطي للعالم شرقاً وغرباً من الإجراءات. وعليه نأمل أن تتجه الدول العربية إلى الوحدة في أقرب فرصة ممكنة حتى تتمكن من استرداد مكانتها بين الأمم في ظل نظام عالمي لا يعترف إلا بالقوة، والقوة لن تتوفر للأمة العربية إلا بالوحدة، والوحدة لن يكتب لها النجاح إلا إذا أخذ في الاعتبار ما بين الشعوب العربية من وجوه اختلاف.⁽²⁴⁾

الهوامش

- 1- قرار مجلس المجمع الفقهي الإسلامي الدولي - الدورة الرابعة عشرة بالدوحة قطر بتاريخ 11-16 كانون الثاني 2003.
- 2- قرار مجلس المجمع الفقهي الإسلامي الدولي الدورة الرابعة عشرة - الدوحة قطر. مرجع سبق ذكره.
- 3- د. عاصم الدسوقي. ماذا أعددتنا للقرن 21. رؤية للقرن القادم. هل نزول الدولة القومية في القرن 21 - مجلة الهلال القاهرة - عدد 12 ديسمبر 1988 ص. 44 - 46.
- 4- الأستاذ ميشيل كيلو- العولمة من منظور الاستقلال - مجلة الشاهد - العدد. 160 السنة الثالثة عشر - ديسمبر كانون الأول 1998 ص 50.
- 5 د- عاصم الدسوقي - ماذا أعددتنا للقرن 21 رؤية للقرن القادم - هل نزول الدولة القومية في القرن 21 مرجع سبق ذكره ص. 44، 45.
- 6 - ابن هشام - السيرة النبوية - دار الجيل - ط 1975 ج 1 - مجلد 3 ص. 127 - 128

- 7 - مجلة المستقبل - السنة الثالثة - العدد 127 في 1979/7/8 . ص 10
- 8 - الأستاذ محمد رشاد الشلايف - العولة والمشروع الشرق أوسطي - مجلة معلومات دولية - مركز المعلومات القومي - سوريا السنة السادسة عدد 58 سنة 1998. ص 40
- 9- الوحدة العربية - سلسلة دراسات عصرية من مكتبة القذافي السياسية رقم 12 المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر طرابلس الطبعة الأولى 1989 ص ص 13 ، 14 ، 15 .
- 10 - د. محمد عمارة - الإسلام والوحدة القومية - المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت - ط 2 - 1979 . ص 13
- 11 - د. عبد العزيز الدوري -التطور التاريخي للأمة العربية - بحث منشور ضمن أعمال ندوة - القومية العربية في الفكر والممارسة - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت ط 1 . 1980 ص.ص 221-224.
- 12- د. محمد أحمد خلف الله - التكوين التاريخي لمفاهيم الأمة القومية الوطنية - الدولة والعلاقة فيما بينها - ندوة القومية العربية والإسلام - مركز دراسات الوحدة العربية بيروت لبنان - (ط 2) 1982 . ص.ص 28 ، 29.
- 13- د. أحمد صدقي الدجاني - مستقبل العلاقة بين القومية العربية والإسلامية - ندوة القومية العربية والإسلام - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت لبنان . ص 292 ، 293 .
- 14- د. أحمد صدقي الجاني - مرجع سبق ذكره ص.ص 493-494 .
- 15 - د. محمد أحمد خلف الله - التكوين التاريخي لمفاهيم الأمة القومية الوطنية ، الدولة والعلاقة فيما بينها - بحث منشور ضمن أعمال - ندوة القومية العربية والإسلام - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - ط 2 - 1982 ص. ص 28-30 .
- 16 - ميثاق التضامن العربي - مجلة الدراسات الإعلامية - عدد 38 - المركز العربي للدراسات الإعلامية - دمشق 1987 ص ص 4-6 .
- 17- الوثائق المؤسسة للتجمعات الجمهورية العربية- مجلة شؤون عربية عدد 58 - الأمانة العامة لجامعة الدول العربية - تونس- يونيو 1989 . ص. ص 25 ، 26 .
- 18- الوثائق المؤسسة للتجمعات الجمهورية العربية -نفس المرجع السابق- ص 27 .
- 19- مظاهرها - أسبابها - علاجها - الطبعة 2- 1975 - منشأ المعارف بالإسكندرية . ص 247 .
- 20 - الأستاذ أحمد الشقيري نفس المرجع السابق ص. ص 129 ، 130 .
- 21 - الأستاذ أحمد الشقيري -مرجع سبق ذكره ص 132 .
- 22 - أحمد الشقيري - الجامعة العربية - كيف تكون جامعة وكيف تصبح عربية تونس . 1997 ص 128 .
- 23 - جريدة الخليج التي تصدر في دولة الإمارات العربية المتحدة عدد : 1998 /12/31 .
- 24- د/ عبد الحميد متولي - أزمة الفكر السياسي الإسلامي - في العصر الحديث - مظاهرها - أسبابها - علاجها - الطبعة 2- 1975 - منشأ المعارف بالإسكندرية . ص 247 .